الفصل الأول

معالم حياته

اسم كوندرسيه الكامل هو : مارى جان أنتوان نيكولا كاريتات ، وبالفرنسية : Marie Jean Antoine Nicolas Caritat. ويختصر اسمه إلى المركيز دى كوندرسيه .

ولد كوندرسيه فى ١٧ سبتمبر عام ١٧٤٣ فى بلدة « ريبمونت » Ribemont بمقاطعة بيكاردى بفرنسا ، وهو ينتمى إلى أسرة نبيلة ، فقد كان والده السيد كاريتات ضابطاً فى سلاح الفرسان ، وكانت والدته مدام سانت فليكس — وهى من أصل بورجوازى — ذات ثروة وجاه ، وكانت شديدة التدين .

وبينما يقرر « پرويز »[١] فى مقدمته أن والد كوندرسيه توفى فى نفس السنة التى ولد فيها ، نجد « سيفراك »[٢] يقول إن والده توفى عندما بلغ كوندرسيه الرابعة من عمره . وقد لقى كوندرسيه عناية فائقة من والدته التى كانت تلبسه ملابس الإناث إلى سن الثامنة . ويرى « كاهن »[٣] أن عناية والدته الشديدة وما اتصفت به من روح وحساسية وانفعال قد ولّدت لديه شعوراً بالخوف من النساء وجعلته يحتاج بشدة إلى الصداقة والعاطفة وجعلته متردداً سريع الانفعال لديه خوف معين من نفسه . ومن الواضح أن هذه النشأة ليست ملائمة لإعداد طالب علم .

وفى أول حياته أرسله عمه وكان قسيساً من كبار المدافعين لنظام الجزويت

---

(١) Prior : L'Introduction : Condorcet, Esquisse d'un Tableau Histo ique des progrés de l'Esprit Hum in , Paris 1933.

(٢) Severac : Condorcet, Paris 1912, P.5.

(٣) Cahen : Condorcet et La Révolution Française, Paris 1908 P.5.

إلى مدينة « ريمس » وتعلم هناك على أيدى الجزويت وهكذا لقنه الجزويت مبادئهم وفى عام ١٧٥٨ م دخل كلية نافار .

وقد ظهر نبوغه فى هذه الكلية فى أقل من عام حيث حل بنجاح مسألة رياضية تعد من أصعب المسائل ، ولا يذكر المؤرخون شيئاً بخصوص تلك الفترة من حياته ، بل إن كوندرسيه نفسه لم يشر إلى هذه الفترة إلا بمعلومات قليلة جداً ، وفى نهاية هذه الفترة من حياته كان قد امتلأ حقداً وكراهية للجزويت ولمناهجهم ، ولم يتخذ من تلك الجامعة التابعة للجزويت أى صديق ، وهذا أمر يدعو إلى الدهشة إذا تذكرنا أنه عاش بينهم فترة طويلة ، ولا شك أنه قد قاسى منهم الكثير .

وقضى هذه المدة فى التخصص فى الأسلحة ولكنه فضل بحث العلوم وبذلك عارض أسرته التى كانت ترغب فى تخصصه فى الأسلحة . واستقر بعد دراسته فى باريس ، وعندما بلغ الثالثة والعشرين قدم لأكاديمية العلوم بحثاً بعنوان « الحساب التكاملى ، باريس عام ١٧٦٥ » وقد علق عليه أحد كبار علماء الرياضة « لجرانج » بأنه بحث ملىء بالأفكار العميقة الراقية ، وعن طريق هذا البحث تعرف كوندرسيه على كل من « ترجو » و « هيلفيتس » و « دالمبرت » وكان هؤلاء من كبار علماء فرنسا فى ذلك الوقت .

وفى عام ١٧٦٧ كتب مذكرة عن « مسألة الأجسام الثلاثة » ، وفى عام ١٧٦٨ صدر له « مقال فى التحليل » . وقد ساعدته تلك الأبحاث على الاشتغال فى أكاديمية العلوم . وفى عام ١٧٧٠ ذهب كوندرسيه بصحبة « دالمبرت » لزيارة الفيلسوف الكبير « فولتير » فى بلدة « فرناى » وبعد العودة من تلك الرحلة حدث أكبر تحول فى حياة كوندرسيه العلمية إذ كف عن البحث فى العلوم الرياضية واتجه إلى العلوم الاجتماعية ، وفى عام ١٧٧٣ عين سكرتيراً احتياطياً لهذه الأكاديمية ثم عين سكرتيراً دائماً لها ، وفى عام ١٧٧٣ نشرت له تقريظات خاصة بالأكاديميين الذين توفوا فى الفترة بين عامى ١٦٦٦ و ١٦٩٠ .

وفى تلك الفترة توطدت الصداقة بينه وبين « ترجو » ، وعندما أصبح « ترجو » وزيراً للمالية عام ١٧٧٤ عين صديقه كوندرسيه مفتشاً عاماً للنقود ، وعندما عين « نكر » وزيراً للمالية خرج كوندرسيه من الوزارة لأنه لم يوافق على سياسة « نكر » الاقتصادية ، وقد هاجمه فى مقاله « أفكار عن تجارة القمح » . ومن الأسباب الكامنة وراء مهاجمة كوندرسيه « لنكر » الخلاف الذى كان بين « نكر » و« ترجو » بخصوص المبادئ الاقتصادية .

وفى عام ١٧٧٤ كتب « رسائل من متدين إلى مؤلف القرون الثلاثة » وفى هذه الرسائل كشف كوندرسيه بعض الشيء عن شخصيته فهو مجادل متحمس ومدافع عن التسامح الدينى .

وهنا نلاحظ ظاهرة تلفت النظر . وهى تحول كوندرسيه فجأة عن البحث فى العلوم الرياضية إلى البحث فى العلوم السياسية والاجتماعية ويرجع هذا التحول بصفة رئيسية إلى أنه قد تأثر بأصدقائه ، وهؤلاء الأصدقاء هم :

(١) ترجو .

(٢) فولتير .

(٣) واضعو الموسوعة الفرنسية ومنهم ديدروت المترجم الشهير .

(٤) جماعة « الفيزوكرات » الاقتصادية .

ومن العوامل الإضافية التى جعلته يتحول إلى العلوم الإنسانية كثرة تردده على الصالونات الأدبية والاجتماعية والسياسية وأهمها صالونات الآنسة « ليسپيناس » « ومدام هيلفيتس » ، « ومدام كوندرسيه » . وقد عرف صالون مدام كوندرسيه بـ « المركز الطبيعى لأوربا المفكرة » ، وتشبع كوندرسيه فى هذا الوسط بالأفكار السياسية ، ودفعه ذلك إلى العمل بنشاط فى سبيل تحقيق الخير العام .

وفى عام ١٧٨٩ أصبح عضواً فى بلدية باريس ، ومنذ ذلك الوقت أصبح عمله أقرب إلى الصحفى منه إلى رجل العلم ، ولقد شارك وبذل مجهوداً كبيراً فى ميدان الصحافة . فبالإضافة إلى عمله كمحرر فى جريدة « أخبار باريس »

كان يكتب فى كثير من الجرائد اليومية الأخرى منها « المكتبة العامة للإنسان » و « فم من الحديد » ، وكان يكتب فى هذه الجرائد مقالات كثيرة عن الظرف المحيطة ، ويثير المناقشة فى الحوادث اليومية . ورغم أن نشاطه كان ملحوظاً أثناء وجوده فى البرلمان فى اللجنة الدستورية فقد كان نشاطه وهو خارج البرلمان أقوى كثيراً من نشاطه وهو عضو فيه . أسس فى عام ١٧٨٩ جريدة « المجتمع » التى أيقظت فى طبقة النبلاء حب الحرية ، ولقد بذل كوندرسيه كل جهوده عن طريق جريدته لتوجيه الرأى العام ، ولتسهيل الانتقال من حالة الاستبداد إلى حالة الحرية .

وفى عام ١٧٩١ انتخب عضواً فى الجمعية التشريعية ، ويعد هذا المنصب القمة فى حياته السياسية ، وكان موقف كوندرسيه فى هذه الجمعية دقيقاً وخطيراً جدًّا ، وخاصة أن الغالبية فيه كانت من حزب اليعاقبة اليسارى ، ولم ينضم كوندرسيه إلى أىّ حزب ولم يعجبه تطرف اليعاقبة ، وكتب عن نفسه فى هذه اللحظة الحاسمة من حياته فقال :

« إننى وجدت نفسى فى الجمعية التشريعية مع عدد قليل من الرجال العادلين المستنيرين والمتحمسين بلا انقطاع لحقوق الشعب » ، وبهذا التصريح حدد كوندرسيه اتجاهه السياسى وسار عليه فى ثبات وعزيمة إلى أن ضحى بحياته فى سبيله .

وقد انتخب سكرتيراً للجمعية التشريعية ، ثم نائباً للرئيس وأخيراً رئيساً ، ورغم أن كوندرسيه لم يكن خطيباً فقد كان الأعضاء ينصتون بصبر لتقريراته ، ويناقشون باحترام تصريحاته وآرائه .

ومن النتائج الطبيعية لفلسفته التحررية العمل على إزالة الامتياز الخاص بديانة الدولة ورفض خطط الغزو والفتح واحترام استقلال الشعوب الأخرى .

وفى جلستى يومى ٢١ و ٢٢ أبريل عام ١٧٩٢ تقدم للبرلمان بتقرير هام عن إصلاح التعليم فى فرنسا بحيث يصبح قائماً على أساس المساواة والديموقراطية فى المعرفة .

وعندما عقد « المؤتمر الوطنى » فى عام ١٧٩٢ كان كوندرسيه أحد أعضائه حيث انتخبته عدة مقاطعات ، ولم تجد آراؤه وفلسفته التحررية آذاناً صاغية فى ذلك المؤتمر وكان معظم أعضاء المؤتمر يعارضونه ، ورغم معارضته الشديدة للويس السادس عشر وحاشيته فقد تغلب عليه العامل الإنسانى وصوّت ضد إعدامه .

وبوصفه عضواً فى لجنة الدستور فى البرلمان قدم فى جلستى ١٥ و ١٦ فبراير عام ١٧٩٣ مشروعاً لإصلاح الدستور ، وقد رفضه اليعاقبة بشدة ، ونظراً لقوتهم فقد رفضه البرلمان ، وقدم اليعاقبة بعد ذلك بقليل مشروعاً آخر أقره البرلمان . عند ذلك كتب كوندرسيه احتجاجاً وطبعه فى صورة نشرة عامة ، ونادى فيه الشعب بالثورة ضد البرلمان .

وقد ترتب على احتجاجه آثار خطيرة إذ قدّم « شابو » — وهو من كبار اليعاقبة — للبرلمان فى يوم ٨ يوليو سنة ١٧٩٣ اقتراحاً بالقبض على كوندرسيه وذكر فيه أن كوندرسيه يعد متآمراً ضد اتحاد وتماسك الجمهورية الفرنسية ، ولقد وافق أعضاء البرلمان على هذا الاقتراح وصدر الأمر بذلك .

وهنا يبدأ القسم الثانى من حياة كوندرسيه ، حيث تبدأ معه مأساة ألمية . فعلى أثر صدور الأمر بالقبض عليه هرب كوندرسيه عند مدام « فيرنيه » فى منزلها فى شارع فوسيير بباريس ، واختبأ فى هذا المنزل وظل بين أربعة جدران مدة تسعة أشهر ، واعتبر كوندرسيه هارباً من القانون مهدداً بالمقصلة فى أية لحظة ، وفى مخبئه هذا أتم كتابه المشهور : « ملخص لتقدم العقل البشرى » . وكان هذا المنزل قريباً من ميدان « الكونكورد » ، فكان كوندرسيه يشاهد إعدام زملائه زعماء الحرية بالمقصلة فى ذلك الميدان ، ورغم ذلك لم ييأس ولم يفقد حماسته وواصل دفاعه عن الحرية والإنسانية عن طريقة تأليف كتابه الشهير .

واضطرت زوجته أن تعمل لتعول نفسها وابنتهما وخاصة بعد أن صادروا أملاك زوجها ، فرسمت بعض الصور وباعتها ، ثم أنشأت محلا لبيع النسيج ، وأخيراً ترجمت مؤلفات آدم سميث من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الفرنسية .

وبعد أن انتهى كوندرسيه من كتابة « الملخص . . . » صمم على إراحة مدام « فرنيه » من مسئولية إيوائه فقرر الهرب ، وكتب وصيته التى لا تخرج عن كونها عدة نصائح لابنته . وفى صباح ٥ أبريل عام ١٧٩٤ فى الساعة العاشرة ترك حجرته وهو يلبس ثوباً تنكرياً عادياً يتكون من معطف وقبعة صوف ضخمة ، وهنا أشير إلى أن الأستاذ « پرويز »[١] فى مقدمته عن كتاب كوندرسيه « الملخص » يذكر أن هروب كوندرسيه كان فى يوم ٢٥ مارس سنة ١٧٩٤ وليس يوم ٥ أبريل سنة ١٧٩٤ كما يقول سيفيراك[١] . وقابل كوندرسيه أثناء هروبه ابن عم مدام « فرنيه » وصديق يدعى « ساريه » وحاول هذان الصديقان إقناعه بعدم الهرب لخطورة الموقف ولكنهما فشلا فى إرجاعه وسارا معه فى اتجاهه إلى مقاطعة « فونتناى أوزوس » حيث كان يأمل فى وجود مأوى عند أصدقائه القدماء — عائلة « سوارد » ، وخاصة أنه قدم لهم خدمات فى الماضى ، وبعد رحلة طويلة شاقة وصل كوندرسيه عند أصدقائه وتركه الصديقان هناك ورحلا ، ولكن كوندرسيه شعر بعد انصرافهما أن أصدقاءه لا يرغبون فى إيوائه ساعة واحدة ، فخرج وذهب إلى محاجر « مونتروج » وظل مختبئاً فيها طوال الليل ثم طوال نهار اليوم التالى ثم طوال ليل آخر ، وعند ذلك لم يستطع كوندرسيه احتمال الجوع فخرج من مخبئه فى يوم ٢٧ مارس عام ١٧٩٤ ، وذهب إلى حانوت « كلامارت » ليستريح وليشترى بعض الغذاء وطلب كوندرسيه من صاحبة الحانوت قرصاً من العجة واثنى عشر رغيفاً ، وأثار هذا العدد الشكوك حول كوندرسيه ، وزادت الشكوك عندما لاحظ الموجودون — سرعته فى التهام الغذاء واضطرابه فتقدم إليه أحد أعضاء « الجمعية الثورية » لتلك المقاطعة وطلب منه تقديم أوراقه ، وأجابه كوندرسيه : « ليس لدى أوراق » ، وعند ذلك أحضر العضو أحد رجال البوليس وقاداه إلى الجمعية الثورية ، وعندما هموا بالخروج طالبته صاحبة الحانوت بثمن الغذاء ، فأخرج كوندرسيه من جيبه محفظة نقود أنيقة

(١) Prior : l'Introduction : Condorcet, Esquisse, Paris 1933..

(٢) Severac : Condorcet, Paris 1912, P. 13

ومنديلا راقياً وقدم لها قطعة نقود ذهبية لصرفها ، وكانت تلك التصرفات من العوامل التى أكدت للحاضرين أن أمامهم صيداً ثميناً فقرروا إرساله إلى سجن « بورج لارين » ، وكان التعب قد وصل إلى أشده عند كوندرسيه ، هذا بجانب وجود جرح فى ساقه فلم يستطع المشى وأخذ يبحث دون جدوى عن عربة ، وأخيراً أخذت الشفقة عليه بأحد الفلاحين وقدم له حصانه ، ووصل كوندرسيه فى حالة سيئة إلى السجن ولم تستطع الجمعية الثورية استجوابه ومحاكمته لأن عدد الحاضرين من الأعضاء لم يكن كافياً وتقرر سجنه إلى اليوم الثالى فى زنزانة ، وعندما فتحوا زنزانته فى الصباح وجدوه ميتاً .

وقد اختلفت الآراء حول السبب المباشر لموته ، فيقول « سيفرالك » إن كوندرسيه قد انتحر عن طريق سمٍّ فعال كان يحمله فى خاتمه . ولكن « پرويز » يعارض هذه القصة ويعتبرها أسطورة نسجها العامة حول موت الفيلسوف الكبير ، ويؤيد ما جاء فى تقرير معاون صحة السجن الذى ينص على أن كوندرسيه قد مات بسبب إحتقان الدم . وبعد ذلك أنتقل إلى جانب آخر من معالم حياة كوندرسيه وهو السمات الأساسية لشخصيته وأهم تلك السمات ما يأتى :

١ ــ رقة الإحساس والمروءة :

كتبت صديقته الآنسة ليسبيناس وصفاً دقيقاً لشخصيته ومن أمثلة ما كتبته أن كوندرسيه كان طيباً محبًّا للخير ، فكان يحب معاونة الآخرين والعطف عليهم ، بل كان يشقى لشقاء الآخرين ويتأثر نفسيًّا من حالات البؤس والظلم .

وهناك أدلة متعددة تثبت تلك الصفة ، منها دفاعه عن المظلومين وهجومه الشديد على الرق ونشر عيوبه ومفاسده ، وقد أسس كوندرسيه جمعيات (أصدقاء السود » ، ومنها أيضاً المناداة بالحرية والمساواة فى الحقوق والواجبات فى جميع الصحف التى كان يكتب فيها .

٢ – سرعة الغضب والثورة :

ولكن هذه الروح الهادئة الوديعة ، لم تكن كذلك دائماً ، فإنها تثور وتتقد وتصبح شعلة من نار وخاصة عند الدفاع عن المظلومين والدفاع عن حرية الإنسان .

وتتضح تلك السمات فى كثير من المواقف ، فقد كان قاسياً وناقداً لاذعاً فى علاقاته مع « نكر » وزير المالية الذى خلف صديقه « ترجو » ومن أسباب تلك الكراهية معارضة « نكر » لـ « ترجو » الذى كان يعد من أقرب أصدقاء كوندرسيه ، وأيضاً لأن كوندرسيه كان يعتبر أن حرية التبادل التجارى هى الشرط الأساسى لتقدم الإنسانية وهو فى ذلك يتفق مع رأى « ترجو » والفيزوكرات ويعارض رأى « نكر » .

وعُرف « كوندرسيه » بكراهيته الشديدة لرجال الدين ، فكان يندد دائماً بهم متهماً إياهم بالتعصب وسوء الخلق والاستبداد والظلم ، ونادى بضرورة فصل الكنيسة عن الدولة ، وقد أثار موقفه هذا الشكوك حول تمسكه بالمسيحية ، وقد اعتبره الكثير من معاصريه ملحداً ، ولا يوافق على ذلك « پرويز » الذى تخصص فى تحليل شخصية كوندرسيه وفى دراسة أعماله . ويرى « پرويز » أن مهاجمة « كوندرسيه » لرجال الدين لا تعنى إلحاده ، إن حقيقة رأى كوندرسيه بالنسبة للدين ليست واضحة تماماً ، ويعتقد « برويز » أنه كان مسيحياً إلى آخر أيامه ، ويستدل على ذلك بموافقة كوندرسيه على حق الكنيسة فى توزيع أملاكها المصادرة وبتصريحه أن الكنيسة إذا تخلصت من رجالها الفاسدين ستصبح رسولا للمحبة والتسامح .

إننى أوافق على رأى « پرويز » وأضيف إلى أدلته سابقة الذكر أن كوندرسيه عندما حدد معالم الصورة المستقبلة للإنسانية لم يرفض الدين بل أقره وجعل التسامح

---

(١) Prior : L'Introduction : Condorcet, Esquisse, Paris 1933.

هو قانون التعامل بين الأديان .

وقد صور بدقة كل من « دالمبرت » و « ترجو »الصفتين السابقتين فى شخصية كوندرسيه ، فقد وصفه « دالمبرت » بأنه بركان مغطى بالضباب ، وأطلق عليه « ترجو » اسم : الحمل الغاضب .

٣ — التفاؤل :

هذه الصفة غالبة جداً فى شخصيته وكان لها أكبر الأثر فى تفكيره ، ويظهر تفاؤله فى محاولاته العديدة للإصلاح وخاصة فى البرلمان عندما قدم مشروع التعليم الذى يقوم على مبدأ تكافؤ الفرص ، وعندما قدم مشروع الدستور الجديد وصدر أمر القبض عليه لم يسلم نفسه بل حاول أن ينقذ نفسه ليعيش ويستمر فى خدمة وطنه . وعندما اضطر إلى الاختباء لم ييأس بل كافح بصورة جديدة وهى التأليف ، فوضع كتابه الشهير « الملخص » وفيه يرى الإنسانية تتقدم إلى الأمام وصوّر الكمال الذى ستصل إليه الإنسانية بصورة جميلة بهيجة ، ولم يتأثر فى كتاباته بحالته اليائسة وظروفه القاسية ، فكان بطلا خارج مخبئه وأكثر بطولة فى داخله .

٤ — الولع بالمغامرات العاطفية :

كان كوندرسيه عاطفياً مغامراً ، فقد غزا الحب قلبه عدة مرات ، فمثلا من المعروف أن الآنسة « ليسبيناس » قد استخدمت كل نفوذها وتأثيرها ومهارتها لإنهاء المغامرة العاطفية التى جمعت بين كوندرسيه والآنسة « ديسيه » .

وفى سن الثانية والأربعين وقع فى حب فتاة صغيرة عمرها ثلاثة وعشرون عاماً وهى الآنسة « دى جروش » التى تزوجها فى عام ١٧٦٦ فكانت له خير صديق .

* * *

عاصر كوندرسيه كثيراً من الفلاسفة والمفكرين الذين أثروا بوضوح فى التفكير الإنسانى ، وقد تعرف فى حياته على معظم هؤلاء وقد تأثر بهم بدرجات مختلفة ، ومن الممكن تحديد هؤلاء المفكرين الذين تأثر بهم كوندرسيه فيما يلى :

١ – مونتسكييه (١٦٨٩ – ١٧٥٥ م) Montesqiueu

هو فيلسوف فرنسى يشتهر بكتابه « روح القوانين »باريس عام ١٧٤٨ ، نادى فيه بفكرة خضوع العالم الاجتماعى للقوانين شأنه فى ذلك شأن العالم الطبيعى وفى هذا الكتاب أيضاً جمع تاريخ أنظمة الحكومات وحدد أنواعها ومبادئ كل منها وما تحويه من مزايا وعيوب ، وضمنه نظريته الشهيرة فى وجوب انفصال سلطات الحكومة التشريعية والتنفيذية والقضائية بعضها عن بعض انفصالا تامًّا لضمان الحرية والعدل واشتراك الملك مع الأرستقراطية والعامة فى حكم البلاد على مثال نظام الحكم الإنجليزى الذى كان يعتبره أرقى نظام للحكم .

ولم يتصل كوندرسيه بمونتسكيه اتصالا شخصيًّا ولكنه تأثر به كثيراً وخاصة بفكرة خضوع الميدان الاجتماعى للقوانين .

٢ – الفيزوكرات Physiocrates

وهم جماعة من الاقتصاديين الفرنسيين ظهروا فى القرن الثامن عشر ونادوا بمبدأ الحرية الاقتصادية ، أهم رجالها « كيناى » الذى شرح مذهب الحرية الاقتصادية فى كتابه « ملخص فى الاقتصاد » باريس عام ١٧٥٨ ، ودعا إلى قليل من سيطرة الحكومة وكثير من الحرية الاقتصادية نظراً لوجود قوانين إلهية من شأنها تنظيم الحياة الاقتصادية دون تدخل البشر ، وقد صادق كوندرسيه معظم علماء هذه المدرسة ، وقد لعبت تلك الصداقة دوراً هامًّا فى تحول كوندرسيه من دراسة العلوم الرياضية والطبيعية إلى دراسة العلوم الإنسانية .

٣ – ڤولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨ م) Voltaire

من كبار فلاسفة العالم ، عرف بصراحة رأيه وشجاعته فى إبداء آرائه فقد دخل البلاط الفرنسى وكشف عن الحياة الماجنة بداخله ، ولم يرض عن تلك الأوضاع وأخذ ينقد تصرفات الحكام ، ولقد قاسى ڤولتير كثيراً إزاء شجاعته هذه .

إن الاضطهادات التى ألقت به فى سجن الباستيل والتى نفته خارج وطنه، قد ألهبت حماسه فى الأعوام العشرين الأخيرة من حياته ، فأخذ يصب جام غضبه على الظلم والطغيان فى الحكم ، وسخر قلمه لتحرير الإنسان من أنياب الاستبداد فكتب فى أصول الحرية وأنواعها ومدح المساواة والإخاء ونادى بإلغاء الامتيازات والطبقات بين الناس ، فأثارت كتاباته حماس الجماهير فى فرنسا وفى خارجها وأصبحت بلدته « فرناى » عاصمة أوربا الأدبية ينطلق منها دوى آرائه وكان من أثر ذلك قيام الثورة الفرنسية وما تبعها من ثورات ضد الطغيان فى سائر بلاد أوربا غرباً وشرقاً .

ولقد اتصل كوندرسيه بڤولتير وتعرف عليه ، وكان من أهم النتائج التى ترتبت على اتصال كوندرسيه بڤولتير ، أن غير اتجاهه فى البحث فى الرياضة إلى البحث فى الميدان الاجتماعى ولقد تأثر كوندرسيه بكثير من آراء ڤولتير .

٤ — روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨ م) Rousseau

كان للفيلسوف الفرنسى الكبير جان جاك روسو أثر كبير فى قيام الثورة الفرنسية ولم يحاول تعديل نظام الحكم الاستبدادى فى فرنسا فحسب ، بل حدد واجبات الحكومات فى كل مكان ، فقد بيّن فى كتابه الشهير « العقد الاجتماعى » أن الإنسان خُلق حرًّا ومساوياً لغيره فى الحقوق ولضمان هذه الحرية والمساواة نظم الأفراد أنفسهم وأقاموا الحكومات لتعمل بإرادتهم لأنها تستمد السلطة منهم ، فإذا أساءت إحداها استعمال هذه السلطة أو أخلت بتلك الحقوق وجب عزلها وإقامة حكومة أخرى مكانها ، كان لهذا الكتاب تأثير خطير فى نفوس الفرنسيين حتى لُقب بحق « إنجيل الثورة » وذلك لما امتاز به من قوة العاطفة وسلاسة العبارة .

ولم يتصل كوندرسيه بجان جاك روسو اتصالا شخصيًّا ، ولكنه تأثر بآرائه وخصوصاً برأيه فى الحريات الطبيعية للإنسان .

٥ – ترجو (١٧٢٧ – ١٧٨١ م) Turgot

بدأ هذا الفيلسوف الفرنسى حياته بدراسة الدين ثم بحث فى فلسفة التاريخ والاقتصاد ، وكان رجلا بارزاً فى ميادين فلسفة التاريخ والإصلاح الاجتماعى والإدارة والاقتصاد ، وعرف بعدائه لرجال الكنيسة الكاثوليكية وكان ينادى بوجوب العودة إلى « مسيحية المسيح » . وفلسفة التاريخ عند « ترجو » هى أول فلسفة إبان القرن الثامن عشر فى فرنسا وضحت فيها فكرة التقدم البشرى . ومن أهم كتبه « مقال فى التاريخ العالمى » و« آراء فى تكوين الثروة وتوزيعها » .

كان كوندرسيه صديقاً حميماً لترجو ولهذا تأثر به بصورة واضحة جداً فقد كتب كوندرسيه فى فلسفة التاريخ كما فعل « ترجو »، وعندما عين ترجو وزيراً للمالية عام ١٧٧٤ اتخذ من كوندرسيه مفتشاً عاماً للمالية الفرنسية ، وقد لعبت تلك الصداقة دوراً هاماً فى تحول كوندرسيه من الميدان الطبيعى الرياضى إلى الميدان الاجتماعى الاقتصادى وكتب كوندرسيه بحثاً تأثر فيه بآراء ترجو الاقتصادية وعنوان البحث هو « آراء فى تجارة القمح » ، وأخذ أيضاً من « ترجو » فكرة التقدم ورقى الإنسانية فى تطورها .

وكان كوندرسيه معجباً بأستاذه وصديقه « ترجو » حتى قال عنه « إنه عبقرية واسعة الأفق عميقة الغور . »

٦ – أصحاب الموسوعة الفرنسية Les Encyclopaedistes

تكونت تلك الجماعة من بعض المفكرين الفرنسيين فى عام ١٧٤١ م لوضع موسوعة فى مختلف المعارف .وقد استطاع اثنان من رجالها – « ديدرو » وكان مترجماً نابهاً و « دالمبيرت » وكان رياضياً مشهوراً وعضواً فى المجمع الفرنسى – الاتفاق على ترجمة المعجم الإنجليزى الذى وضعه « إفرايم تشمبرز » والذى ظهر فى لندن عام ١٧٢٨ من الإنجليزية إلى الفرنسية . وكان غرض تلك الجماعة فى بادئ الأمر تجارياً ثم انقلب بعد ذلك إلى غرض فلسفى يرمى إلى تحديد تقدم العلوم والمعارف

الإنسانية ومبلغ الرقى الذى بلغه الفكر البشرى منذ القدم إلى زمانهما ، وجمع « دالمبيرت» حوله كبار العلماء الفرنسيين ليساهموا فى الموسوعة بأقلامهم ، فانضم إليهم « ڤولتير » « ومنتسكيه » « وروسو » ، وملئت الموسوعة بالحملات ضد الحكم الاستبدادى وبالمقالات التى تنادى بالحرية وبسيادة أحكام العقل وبمقاومة التعصب الدينى وبمحاربة رجال الدين الفاسدين ، فكانت تعبر عن روح الثورة التى سادت إبان القرن الثامن عشر والتى أرادت تحرير الإنسان وإقرار حقوقه .

لقد تأثر بهم كوندرسيه كثيراً فكان من أصدقائه « دالمبيرت » الرياضى و« ديدرو » المترجم الشهير وأخذ عن « دالمبيرت» فكرة أهمية العلوم الطبيعية والرياضية نظراً لدقة نتائجها ، وكذلك فكرة تطبيق مناهج العلوم الطبيعية فى الميدان الاجتماعى .